موضوع الغلاف

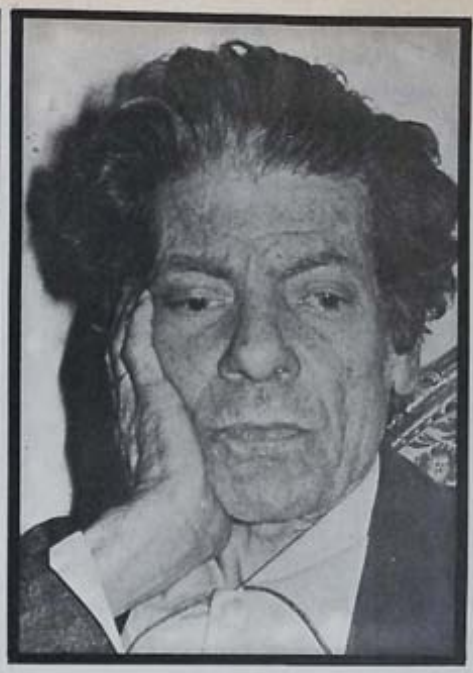

سلام كبير لفلاح من سنباط !

عندما بدأ نجم رياض السنباطى يتألق فى أفق الموسيقى العربية منذ خمسين عاما . . أثناء بداية الطريق . . كتب كاتب كبير حينذاك فى إحدى الصحف فقال : إنه ذلك الفتوى الذى جاء يصارع العالقة .

وكان من هؤلاء العالقة عبد الوهاب وزكريا أحمد ومحمد القصبجى وأم كلثوم وأحمد رامى وغيرهم . .

وتأثر السنباطى -عزنا لهذا القول . . ولكنه لم يتراجع عن طريقه أو خطواته الأولى فى عالم الموسيقى العربية . . واستمر بإصرار وكبرياء . . حتى أصبح الملحن الذى تأثر به وجدان الشعوب العربية جمعاء . . وحتى نال أيضا منذ أيام جائزة الدولة التقديرية على ما قدمه لوطنه والموسيقى العربية .

محمد الطويل

فرياض السنباطى استحق بجدارة لقب الملحن الكلثومى . فكان دائما يتألق فى القمة مع صوت أم كلثوم . حيث كانت تخلق جوا نفسيا يحوب آفاق صوتها العبقرى . يصول ويجول عليه بثقة ودلال . فتسطع منه أعظم الألحان شامخة متألقة .

فلما توفاها الله . ورغم أنه كان قد حقق ذاته فى ذلك الوعاء الماسى . فإنه بعد فقده لهذه المأسة الصوتية . قام بالتلحين لبعض المطربات . وأراد أن يؤكد ذاته ايضا من خلال تلحينه للقصائد فقط . وكان له ذلك . فهو معروف بأنه ملحن قصائدى شامخ . وإن كان بالطبع غناء القصيدة بصوت أم كلثوم إعجازا لايدنو منه أى صوت أو أداء . كما ذكر ذلك فى مناسبات عديدة

التقى أيضا لأول مرة بالصوت الملائكى فيروز فى لحنين تتدرب الان على حفظها بل تحدى ابنه احيرا عندما لحن له ثلاث قصائد لأحمد رامى وأحمد شوقى وبقية رباعيات الخيام .

والجو العام الذى تعود عليه مختلف تماما منذ سنوات . فبعد وفاة أم كلثوم ذهب أيضا فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ . . فكان فراقهما إحساسا عاما عند الناس وعند الفنانين كبارا وصغارا . بالفراغ . وإن ظهور صور باهتة لهم كان تأكيدا للفراغ الذى تركاه . فقد كانا من مكونات الجو العام منذ سنوات مضتْ . . وهنا يشعر رياض السنباطى أحيانا بالوحدة والغربة . فقد كانا من زملائه وإن اختلفت الأعمار . وقد كانا قيمة لاتنسى . والإحساس بالنجاح دائما لايكون إلا من خلال نجاحات أخرى . . وهذا ما يتاب السنباطى دائما . . كما أن صحته أصبحت على غير ما يرام . حيث إنه مصاب بربو تنتزعه نوباته العنيفة من هدوئه الدائم .

ورغم هذا الهدوء العنيف . . ومتاع الموسيقى والغناء الصاخب الذى يصم الآذان – بلا أثر يذكر فى وجدان الناس – فهو مازال يعطى . . فيلحن حاليا للمطربة فيروز وأيضا المطربة مبادة الحناوى . . ومازال على هذا الطريق .

وفجأة . . تلقى خبر استحقاقه للجائزة التقديرية من الدولة . . وانتشلته هذه المفاجأة المتوقعة منذ سنوات . . من هذا الهدوء العنيف إلى فرحة اعنف . . سعادة غامرة لما يستحقه منذ

تصوير محمد سامى

سنوات .. إحساس بالعدل الذى ناله بعد بحث دائب ممن هذه الجائزة من السياطى .. وكبرياء مترفعة لسعيا إليه .. ولكن متى ؟ .. حتى استحقها الأسبوع الماضى .

وانهالت عليه التهانى . ولم يحاول أيضا الهروب من الصحفيين . والتقيت به .. فرحا سعيدا تختزج معنوياته العالية بكثير من الخواطر والكلمات التى بدت تتزاحم على لسانه .. فبادرنى قائلا : إننى سعيد جدا .. ليس لاستحقاق الجائزة التقديرية فقط .. إنما لأن الشعب المصرى دائما أصيل ووفى تجاه من يعطيه بيديه ونبضه وصدقه أيا كان .. وأرجو أن ينال الجائزة كل من يستحقها قريباأيضا وفى المستقبل القريب .. وأعتقد أننى الآن فى حالة إلهام عندما سمعت وقرأت هذا الخبر .. لقد بدأت أفكر فى عمل موسيقى أقدمه فى حفل عيد الفن فى أكتوبر القادم .. احتفالا وتقديرا لهذه المناسبةالعظيمة .. وهى نصر أكتوبر المظهم ..

بل إننى أشعر بالخواطر الموسيقية بدأت تتوارد وتتدفق وهأنذا مهيأ لأن أبدأ – ربما بعد ساعات أو أيام – فى وضعها حتى تكون معدة فى عيد الفن ..

وبهذه المناسبة فإننى أشكر الرجل الذى يرعى الفن والفنانين والذى يحرص دائما على تقدير الفن الجيد والسعى إليه .. رجل مصر الأول الرئيس أنور السادات .. وإننا لابد فى عهده أن نرقى بالموسيقى العربية كما ارتقى بنا إلى المحافل الدولية

وسياسة خارجية حكيمة وداخلية صادقة حساسة بنبض الجماهير التى تلتف دائما حوله بحب وإخلاص وصدق . بل إننى استبشرت خيرا عندما سمعت أن سيادته قد كلف الأستاذ عبد الوهاب والدكتور مصطفى محمود بعمل موسيقى ضخم بمناسبة عيد الفن القادم .. فهذا يؤكد قوى بأن الرئيس السادات يسعى دائما للفن أرفع وأجود .. لترفع من الموسيقى العربية كما يرفع دائما من شأن بلده .. مصر الحبيبة ..

وانساب الحديث حول الجوائز التى سبق أن نالها .. فعرفت أن جائزة اليونسكو التى استحقها فى العام قبل الماضى . وقيمتها عشرة آلاف دولار وهدية رمزية أيضا . لم يحصل عليها حتى الآن .. وأن هناك مسئولا كبيرا بالإذاعة يحجبها لغرض ما .. لا يعلمه السياطى .. ويوقف الرجل لحظات أثناء حديثه المرح . وسرح بذهنه .. غير بعيد عن هذا المجال .. وأخذت فجأة حديثه مسارا آخر .. فكانت كلماته ذات اتجاهات مختلفة .. ولكنها تنبع وتصب فى عالم لا يتغير .. الموسيقى والغناء والفن . حاليا إلى أين يتجه هذا العالم ؟ .. وأين نحن منه الآن ؟ ! تساؤلات كثيرة وإجابات قليلة مرت بذهن هذا العملاق . وتدفق حديثه منسابا إلى سمعى فكان يسألنى ويقول :

ماذا يحدث فى الفن أو بالفن ؟ ! فهناك تيارات مخيفة تهب فى عالم الموسيقى والغناء المصرى العربى الأصيل . فتحوم حول كعبة الفن العربى مصر .. التى قدمت للفن العربى العظام وطه حسين وشوقى وأم كلثوم وعبد الوهاب وكامل الشناوى وإبراهيم ناجى وبيرم التونسى ورائد الموسيقى العربية سيد درويش ومحمود حسن اسماعيل وحافظ إبراهيم وزكريا أحمد والقصبجى وغيرهم من عظماء القرى المصرية .. فكيف نسمح لصعاليك بتلطيخ هذه الكعبة الفنية التى بناها هؤلاء وغيرهم . وأحاطها الشعب العربى بالحماية والحب ؟ .. كيف نسمح لأمثال السيح المدح امير أن يفعلوا ذلك .. فهل هذا ضعف أو قصور أو عجز أو شلل أو ملالة أو يأس أو يئوس أو انحدار .. أو ماذا ؟ ؟ وكيف نسمح لموسيقانا وفننا وذوق جمهورنا أن يهبط إلى هذه الهاوية .. لماذا ؟ .. ولصالح من .. ؟ !

وهذه التيارات العربية يقال عنها فن . ويؤسفنى ذلك القول . بل وإنها تهريج هابط .. تتنازع هذه التيارات فرق كثيرة تسمى نفسها بمسميات غربية أيضا . كأنها تتطور كما يدعون .. كأن اسم الفرقة هو تطوير الموسيقى

بل إنها مسميات عصبية فمثلا هناك فرقة تسمى نفسها الفرقة المصرية . فهل كانت فرقة أم كلثوم غير مصرية أو تركية ؟ ! وآخر يسمى نفسه صاحب الأغنية المصرية الجديدة .. فماذا يعنى بذلك هذا العبقرى الساحر لادعائه هذا القول ؟ فهل كانت مصر تنتظر هذا العبقرى الزلزال ؟ .. وهل ستتطور الموسيقى العربية من خلال هذه الفرقة حيث إنها تقدم موسيقى عربية هزيلة . فهى مقلدة بعصبية وجنون كأن موسيقاهم زار .. فهل الفن أصبح اليوم تقليدا وسرقة وليس إبداعا وخلقا ؟ إن ما يحدث خطر داهم على الفن الأصيل لبلادنا . بل إنه طمس لشخصيتنا وهويتنا أمام العالم وبين الأمم .. وكيف نتميز موسيقانا عن بقية العالم ؟ .. فلماذا لايكون فننا نابعا من وجداننا وآمالنا وآلامنا وأصالتنا ليكون عالميا بوطنية ؟ .. إنها بدعية .. وإلا فلماذا خصصت الأمم المتحدة جائزة دولية سنوية لكل فنان يحافظ على تراث ووطنية موسيقاه المحلية . رغم ما يحدث فيها من تطوير ؟ .. ألا يكون هذا دليلا على وجوب تمايز الشعوب عن بعضها فى شئ أو آخر .. كالموسيقى والأدب أيضا .

نحن نمر بمرحلة تعمير وبناء ليس للمرافق فقط . إنما للإنسان المصرى أيضا . ونصف هذا الشعب من الأجيال الشابة .. فمن باب أولى تربية هذه الأجيال وجدانيا على الفن العربى الأصيل .. تعميق فيه الانتماء الوطنى . ونحن فى حاجة إليه . وليس التمسك بالفن الوطنى جمودا كما يتصور المخربون فى الفن . فهذه العواصف لن تؤدى بالفن العربى للهاوية . ومع ذلك فانى احنى الحذار الناس إليها .. فماذا تقدم هذه

الفرق ؟ وماذا لاتعلن صراحة أنها فرق غربية أقصد نسخا باهتة من الفرق الغربية ؟ علها تحتى السخرية أو اتجاه الجمهور للفن الغربى الأصيل ذاته ؟ وفى خضم هذه التيارات المتلاطمة . هناك أمل فى بعض الفرق الأخرى المحترمة التى أتمنى مساندة الدولة لها دائما .. فهى صادقة ومعبرة بحق عن هويتنا الفنية الأصيلة المتميزة . فالفرقة الموسيقى العربية بقيادة عبد الحليم نويرة تحافظ وتحمى التراث الموسيقى القومى .. والآلاف الشباب المثقف يندفع نحوها بحثا عن الأصالة والانتماء والمتعة . حيث يجدها فى هذا التراث الموسيقى . وكذلك فرقة أم كلثوم بقيادة حسين جنيد يتجه إليها الناس متعطشين للوجدان الصادق المعبر عن أحاسيسهم ومشاعرهم العميقة .. وعندما تسافر هذه الفرق للخارج تعرف فى أرقى المسارح مثل بولشوى بموسكو وفى باريس وألمانيا والدول العربية . حيث إنها تمثل موسيقانا الوطنية فتجذب الأجانب وتنتزع تصفيقهم وإعجابهم . ألا يبدو أن هذا تعبير صادق عن احترام الأجانب لنا حيث إننا نقدم فنا متميزا يتمتعون به ويحسب لنا وليس علينا ؟ !

أما الفرق الأخرى فتتجه إلى الشباب بزيف وخداع كأنها موسيقى عربية متطورة . بل إنها أحيانا تسمع السكارى فى الملاهى الليلية . وعندما يسافر البعض منهم لا يستطيع أن يرتدى ما يقدمه فى مسرح محترم . إنما يتجه بتلاماله للملاهى الليلية فى أوربا حيث إنها أوكاره التى لا يستطيع التنفس بعيدا عنها .. وهذه هى الحقيقة فلماذا نخفيها ؟

وإذا كانت هذه الفرق تقدم ما يسمى فرانكو آراب على أساس المزج بين موسيقى الغرب بالموسيقى العربية . فهذا خداع وزيف . ولابد من حذف هذا الفرانكو آراب من القاموس الفنى . فلا يوجد مثيل لهذا فى أية دولة أخرى ؟ فهل هناك فى باريس « انجيت » . وفى انجلترا « الجلو انجيت » . وفى أمريكا « أمريك انجيت » ؟ .. إنه فرانكو فرق .. آلات غربية مع كلمات هزيلة . ويطولون تطويرا .. ونقول ونطلق اصطلاح فرانكوا آراب وأحيانا يقال إن هذه الفرق تقوم بتوزيع جديد لموسيقانا .. وهذا خطأ . فهذه الأخان التى توزع لم تخلق لذلك إلا إذا كان ملحنها هو موزعها . وبصراحة أكثر فان

محمد عبد الوهاب

عبد الحليم حافظ

موسيقانا العربية ليست فى حاجة إلى توزيع لأنها أغنى من ذلك . إلا فى الأناشيد الوطنية والعسكرية فهذا جائز . فيما . أما الأغانى العاطفية فلا تحتاج لذلك . فقد كانت فى أغانى فى السبيا وزعت . فلاحظت من خلال توزيعها وعرضها أن الميلودى فقد وتوفاه الله . وأصبح عبارة عن خناقة وخربشة فقط . فى حين أن العرب يوزع جملة لحنيه قصيرة كالسيمفونية وهذا ما يجب أن يتعلمه الموزعون الدارسون حتى لا يفقد الميلودى جوهره . فالتوزيع للسيمفونيات والأوبريتات والأعمال الضخمة . أما الأغانى القصيرة فلا تحتاج إلى ذلك . كلحن أعمالك للمرحوم عبد الحليم حافظ . فهو لحن صغير كالطفل الحلو أو تونوة قط صغير فكيف توزع موسيقاه . . فالتوزيع للأعمال الشاملة .

ووسط ليالات تخريب الفن علمت قريبا – صدقة – أن هناك لجنة للرقابة على كلمات الأغانى . وظيفتها إقرارها أو رفضها . وكان ذلك عندما كنت أسجل لأحمد ابى قصيدة لإحدى شركات الاسطوانات بعنوان « أنت » . وكان هناك بيت فى القصيدة يقول فيه الشاعر : أنت تعرفنى وصلانى . ويفهم من هذا أن العاشق يسمو بحبيبته روحانيا . فهى محرابه الذى يلجأ إليه . ومع ذلك حذفتها اللجنة منعا للشبهة . فاخذر أفضل وقد احترمت رأيها وغيرت الكلمات . . ولكن هذا ليس بمناسبة غناء أحمد للقصيدة إنما بمناسبة وجود هذه اللجنة التى تراقب كلمات الأغانى . فكيف بالعقل يمر عليها كلام يقول « ادينى لحضة من الزير أحسن كوز الغرام محروق » ؟ ! كيف ولماذا تجيز هذه اللجنة مثل هذا الكلام السوقى والمبتذل ؟ فإننى لا أريد اتهام هذه اللجنة بشئ . . إلا أننى أبحث عن إجابة حول مزاج هذه اللجنة ورأيها فيما تقره من مثل هذه الكلمات .

ورغم الحروب التى مرت بمصر . وكان من الطبيعى أن ينحدر الفن تبعا لأزمات هذه الحروب . فإن إبداع الفنانين لم يتوقف .

وكذلك لم ينحدر ذوق الجمهور . فكما تحمل أعياء ومتاعب المرافق . فإنه أيضا اتجه نحو السمو بوجدانه التى المرافق . فلماذا لم تنحدر أم كلثوم بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . وكذلك عبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وغيرهم من الفنانين . بل كان الفن تنور أيضا قبيل حرب أكتوبر العظيمة . . فبعد الانتصار وتكريم الفنانين أعظم تقدير على المستوى الرسمى . ثم قصة نصرنا مبادرة الرئيس السادات للسلام فإن هذا نجب أن ينحو بنا إلى نتاجات فنية تقترب على الأقل من مستوى هذه الانتصارات . . إنه من المنطق أن تخطو روح المرحلة التى لم يتأثر الفن كثيرا بها . . إنها للأسف وللحسرة ينحدر الفن إلى تهريج هابط على أيدى صعاليك تلف الحكومة مكتوفة اليدين تتفرج عليهم . . فلماذا ؟ وأين النقابات الفنية والإعلام والثقافة ؟ . . فالانحراف والابتذال والتطرف فى عالم الموسيقى خطر . . وأين الحكومة ؟ وأين مسئوليتها ؟ أين الفن المحترم يا حكومة ؟ ! !

وليس الأمر يقتصر على انحدار الموسيقى فحسب . . بل إنه هدم للقيم الأخلاقية والفنية أيضا فى الحق الفنى . فهناك النشيد الوطنى أو السلام الجمهورى الجديد الذى اختير من ألحان رائد الموسيقى العربية سيد درويش وهو « بلادى بلادى » وقد سمعته عشرات المرات وقرأت عنه . وللأسف الشديد ينسب لحنه عبد الوهاب ولا يذكر اسم ملحنه الأصلى سيد درويش . فإن قيم الريف الأصلية والعريقة . وأين الوفاء والصدق . هل سنتوج الكذب والغش علنا على رءوسنا ؟ فلماذا نطمس حق عظمائنا ؟ وكيف يفوت ذلك على المسئولين بالإذاعة ؟ إن عبد الوهاب وضع اللحن الأصلى – لوزيعا – فى إطار من العكبوت ولكنه لم يبدعه أو يخلقه . فكيف ينسب إليه ؟ . . إننى لا أحترم ذلك ولا أجيزه . فإننى سأدافع دوما عن سيد درويش بكل جوارحى . وإن ما حدث هدم لقيم تراثنا الأصيل . وأين العلم والاتقان فيما تتحدر إليه موسيقانا ؟ فالعلم هو التعمق فى الفن كما أن الفن قمة العلم . . والاتقان هو الاخلاص لجوهر هذا الشعب وحقوقه وإتقان العمل الفنى بضمير خالص وليس مزيفا . فأين العلم فيما يحدث . وأين الإيمان فى ذلك الانحدار ؟ !

□ □ □

إننى أريد بما قلته التوجيه والإصلاح . فإننى أتمنى لهذه الفرق النجاح . متى كانت تعمل على دراسة ووعى وهدف حقيق . وهو رفعة الموسيقى العربية وليس لمجرد الكسب المادى . فهذا لصالح مصر . وليست فى مطامع وأغراض خاصة من وراء هذا الكلام . إننى سأريح كل من يظن أن السنباطى هو الوحيد الذى يقول هذا الكلام . فسأعتزل الموسيقى قريبا . سأوجهم . وإنتهى كلام السنباطى . . وهو قليل مما يريد الحديث عنه . ولم يبدأ غضبه وسخطه من الحق الفنى فى عالم الموسيقى العربية . . وبعد الانتهاء من ألحانه لفوزية وفيروز سيعتزل السنباطى الفن . أى فى غضون شهور قريبة . . وإننى لأشك فى قدرته على هذا الاعتزال . . ومن خاطرى أن السنباطى ليس وحده الذى يندفع نحو حماية التراث الموسيقى العربى . إنما أيضا فى بدايات هذا القرن وقف الأب كولانجيت أثناء انعقاد مؤتمر الموسيقى الشرقية فى القاهرة عام ١٩٣٢ . حيث قال : إن الترقية والتجديد لا يستلزمان حتما هدم القديم . بل نحن نعده جرما كله مساس بهيكل الموسيقى العربية القديم . ونريد لهذا الفن الجميل أن يبقى فنا عربيا حقا . . وهكذا فالألحان العربية تشتاق للموسيقى العربية أيضا !